

رحلتي مع الأخوات المسلمات

من الإمام حسن البنا إلى سجون عبد الناصر

في السادس من رمضان
الكريم المنصرم جمعني لقاء
عابر بالمستشارة الدكتورة/ نهى
الزيني على هامش الإفطار العام
لجماعة الإخوان المسلمين أبدت
فيه رفضها لما يسمى أحياناً
بالهيمنة الذكورية على عمل
الحركة الإسلامية عموماً،

وهو ما كان ردي عليه بالنفي، وذكرت لها في ذلك
اللقاء السريع العابر الذي كان يشهده معنا الشاعر
الكبير الدكتور/ جابر قميحة وغيره - أن حركة الإخوان
المسلمين عرفت إسهاماً متميزاً للمرأة في نشاطاتها
المبكرة، وسردت تمثيلاً لذلك اسم الحاجة/ ليبيبة أحمد،
وبعض نساء بيت سيد قطب من أخواته، وانقضى
الموقف، وظلت الملاحظة التي أبدتها المستشارة نهى
الزيني قائمة ماثلة تحتاج إلى قدر من المتابعة والعناية
وصولاً إلى إجابة شافية تدعمني فيما رددت به على
البديهة ساعتها، ليقرر أن عطاء المرأة للحركة الإسلامية
لم يقف عند حدود هذه الأسماء المعروفة فقط!

ومرت الأيام ليظهر بعض ما يدعم وجهة نظري في
أن الحركة الإسلامية المعاصرة ممثلة في تيار الإخوان
المسلمين في مصر عرفت جهاداً ملموساً للمرأة في
صفوفها دعماً، وحركة وتأسيساً ومتابعة.

وكان الذي دخل بنا إلى شيء من الإجابة عن سؤال
هذا المفتتح أو المدخل هو كتاب الأخ الراحل الكريم
الأستاذ/ حسام تمام ابن جماعة الإخوان المسلمين التي
رعت تكوينه، وقامت على تصديره للحياة الصحفية
المصرية بما أمدته بها من قيمها ووهجها رحمه الله
وعفا عنه.



الكتاب: مسأله ومادته واقتماؤه المعرفي

مسألة هذا الكتاب غاية في الأهمية والخطر، ولا يصح أن يوقف عند حدود كونه سيرة ذاتية لإحدى رائدات العمل النسوي في داخل أعرق الحركات الإسلامية في العصر الحديث، وهذه المسألة يمكن وضع العنوان التالي لها: حلقة شبه مفقودة في تاريخ المرأة وداخل جماعة الإخوان المسلمين. وحسبك بهذه المسألة خطراً وقيمة، ولاسيما في هذا الذي يشهد قدراً من عدم التسامح نحو حركة الأخوات المسلمات في الواقع المعاصر في رأي بعض المراقبين والمحللين، وفي ظل بعض الممارسات التي يراها بعض جيل الرعيل الأول - غربية على ممارسات التدين المصري، والسلوك الإسلامي والإخواني في مصر.

والكتاب في انتمائه المعرفي صالح لأن يندرج تحت الانتماءات المعرفية التالية:

أولاً: السيرة الذاتية: هو المعنى الظاهر من تصميمه النهائي بما هو قصة حياة للسيدة/ فاطمة عبد الهادي زوج الشهيد محمد يوسف هواش رفيق سيد قطب رحمهما الله تعالى.

ثانياً: التاريخ الاجتماعي والسياسي: بما هو حكاية عن دور المرأة الإخوانية في تشييد صرح هذه الجماعة العملاقة، وبما ترصده من المواقف والسلوك الذي كان شائعاً بين نساء هذا الجيل المؤسس للعمل النسوي الإسلامي في صفوف جماعة الإخوان المسلمين.

ثالثاً: الكتابات الوثائقية الحية: ذلك أن جزءاً

مهما من تاريخ مصر المعاصر تحتفظ به أمثال هذه الشهادات أو السير الذاتية.

رابعاً: أدب المحنة: بما يحكيه هذا الكتاب من محن بيوت كثير من الإخوان المسلمين ولاسيما في محنة سنة ١٩٦٥م التي استشهد فيها زوجها، وهو الأمر المهم الذي يسلط الضوء على آثار هذه المحن وغيرها في التشكيل العقلي والوجداني لأبناء هذه الأسر الذين يحكمون تاريخ الحركة الإسلامية اليوم بحكم السن الذي بلغوه على الأقل.

خامساً: أدب النقد الذاتي: بما جاء فيه من بعض ملامح النقد والمقارنة بين الدعوة في جيل التأسيس والدعوة اليوم والكتاب يضم بين دفتيه الموضوعات التالية:

١- قصة تأسيس قسم الأخوات المسلمات والنشاط النسائي في الإخوان.

٢- الأخوات المسلمات وقضايا الحياة السياسية والاجتماعية.

٣- دور الأخوات المسلمات في العمل الإسلامي.

٤- الزواج من يوسف هواش و التعرف بسيد قطب.

٥- أول فصول المواجهة بين الأخوات ونظام ثورة يوليو.

٦- رحلة معاناة الأخوات وأسر بدون عائل.

أثرت المحن التي تعرض لها الإخوان المسلمون وأسرهم في التشكيل العقلي والوجداني لأبناء هذه الأسر والذين صاروا اليوم رموزاً في الحركة الإسلامية الراهنة



- أولاً: حقبة الأربعينات هي بداية النشاط الكبير للأخوات المسلمات، يقرر فريد عبد الخالق في مقدمته للكتاب (ص ١٣): "أتذكر أن بدء النشاط الكبير للأخوات كان في بداية الأربعينيات، وهي الفترة التي تعرفت فيها على الإمام البنا والتحقت بجماعة الإخوان المسلمين، لقد كانت فترة ما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية والتي تزامنت معها حركة واسعة بين الشعوب الخاضعة للاستعمار، والباحثة عن حلم الاستقلال، كانت فترة نشاط واسع لكل الشعوب ومنها الشعب المصري، وقد وصلت الحركة الوطنية بكل أطيافها وتلوناتها إلى عنفوانها، وكان صعود الحركات النسوية باختلافها جزءاً من هذا السعي نحو الاستقلال، وكانت فترة مناسبة ومؤثرة في إحداث نقلة واسعة في نشاط الأخوات داخل جماعة الإخوان التي كانت في صعود كبير.

- ثانياً: كانت آمال العشماوي واحدة من أكثر من دفع حركة الأخوات المسلمات بما أتيج لها من بيت ذي صفات خاصة.

٧- شهادة على مذبحة ليمان طرة.

٨- الأخوات المسلمات في السجن: خمسون أختاً وراء القضبان.

٩- وقائع محاكمات تنظيم سنة ١٩٦٥م وإعدام هواش وقطب.

١٠- ما بعد الإعدام حتى بداية انفراجة عصر السادات.

ولعل الأمر المهم هو هذه الرسائل التي يرسلها محمد يوسف هواش: إلى زوجته فاطمة عبد الهادي صاحبة هذه السيرة الذاتية، وهي مجموعة من الرسائل المهمة التي ربما يقود فحصها وتحليلها إلى عدد كبير من الرؤى التي حكمت مسيرة أبناء هذا الجيل الفريد في تاريخ العمل الإسلامي المعاصر، والعوامل التي حكمت ردود أفعالهم، وقياس معايير صلابتهم النفسية، وهو الأمر الذي يقود إلى قياس العقيدة الإسلامية في بناء النفوس، وتكوينها الوجداني.

أهمية أمثال هذه الشهادة، نظرة من قريب!

مما يكسب هذه الشهادة أهمية وقيمة، ويعلو بها في ميزان تقدير قضيتها مجموعة أمور لعل من أهمها تلك المقدمة التي كتبها الدكتور/ فريد عبد الخالق، أحد أكابر جيل الرعيل الأول من رجالات جماعة الإخوان المسلمين.

وهي مقدمة تمثل شهادة مقيم وليس عابر سبيل، وتمثل نظرة من قريب، وترصد هذه النظرة مجموعة من الحقائق بالغة الخطر، يمكن أن نسوق بعضها فيما يلي:

أ- فاطمة عبد الهادي بنت أسرة صعيدية
سوهاجية متدينة تدينًا فطريًا.

ب- كان أبوها رجل علم متوسط الحال، وكان
جدها لأبيها رجلاً متدينًا وصديقًا للإمام الأكبر/
محمد مصطفى المراغي.

ج- كان أبوها رحمه الله دائم الجلوس معها
ومع إختوتها عصر كل يوم يتدارس معهم السنة
الشريفة.

د- كان ذلك في العقد الثاني من القرن
الماضي، ذلك أنها ولدت سنة ١٩١٧م، وتخرجت
من معهد المعلمين سنة ١٩٣٧م، وهو الأمر الذي
يعكس الفارق بين ذلك الزمان وزماننا في
مخرجات التعليم ونواتجه!

هـ- انضمت بشكل تلقائي إلى الإخوان
المسلمين سنة ١٩٤٢م، بعد أن سبقها أخوها سيد
إلى ذلك، وكان داعماً ومعيناً.

و- تحكي أن التركيز كان على الأخلاق
والمضمون، وإعلاء قيم خشية الله تعالى.
الرائدات السابقات، قوائم الشرف،

وتحكي فاطمة عبد الهادي أن جيل
التأسيس لقسم الأخوات اضطلع به ست من
الأخوات الكرائم هن:

أ- أمينة الجوهري، زوج الأستاذ محمود
الجوهري، أول مسؤول لقسم الأخوات.

ب- فاطمة توفيق.

ج- فاطمة البدرى.

د- زينب زوج الشيخ الشعشاعي.

- ثالثاً: كان لقسم الأخوات المسلمات
إسهام جبار في رعاية أسر الإخوان فترة غيابهم
في السجون والمعتقلات مالياً، وتربوياً.

- رابعاً: الزبي الإسلامي كان قضية
هامشية لم تزل هذا الاهتمام إلا بعد الانفتاح
على الخليج، والفكر الوهابي.

- خامساً: ثمة تسامح وبساطة بالغة كانت
هي الحاكمة لمسيرة حياة الإخوان في هذا الجيل
الأول، من عمر الدعوة والحركة معاً.

والدكتور/ فريد عبد الخالق يحكي هذا الذي
حكاه في مقدمته لهذا الكتاب يحكي عن قرب
من عدة جوانب مهمة جداً، لعل أهمها على
الإطلاق إسهامه في تكوين هذا الجيل الرائد من
الأخوات المسلمات بحكم أنه كان واحداً من
محاضرين آخرين تعاونوا على تربيتهن وصقلهن
فكرياً ودعواً وحركياً.

البدايات الحاكمة (أو وهج البدايات

وقراءة هذا الكتاب فيما يخص البدايات
الأولى التي أحاطت بتنشئة السيدة فاطمة محمد
عبد الهادي تلمس التأثير الإيجابي الهائل في
صمودها أمام المحن المتوالية التي تحملتها زمناً
طويلاً.

وهذا الأثر الإيجابي الذي هو ناتج أول
مؤسسة تربوية في حياة الإنسان ممثلة في عائلة
الإنسان، أمر واقعي يدعم الأهمية التي يوليها
الإسلام لهذه المؤسسة، وتتمثل هذه البدايات في
الملاحم الموجزة التالية:

كانت حقبة الأربعينيات من القرن العشرين هي البداية الحقيقية للنشاط الكبير للأخوات المسلمات في رعاية أسر الإخوان المسجونين والمعتقلين مادياً وتربوياً ومعنوياً



إسهام الأخوات المسلمات في العمل الإسلامي،
مسارات الإمداد

وترصد فاطمة عبد الهادي الأعمال المهمة التي تصدت لها الأخوات المسلمات اجتماعياً وسياسياً وحركياً، وهي مسارات مهمة وإيجابية معاً، يحتاج الواقع المعاصر إلى فحصها وتقييمها ومراجعة برامج تكوين الأخوات المعاصرات على هديها، وفيما يلي إيجاز هذه الإسهامات.

أولاً - تزويج الإخوان:

وهو عمل مهم يمكن قياس آثاره في مدّ شجرة الجماعة، وترسيخ الفكرة الإسلامية في العصر الراهن، بتكوين أسر مسلمة متوائمة فكرياً ونفسياً.

ثانياً - نشر الدعوة:

والمدّش في الأمر أنها تحكي أن قسم الأخوات ابتكر نشر الدعوة من خلال المسرح، دعماً لقيم الإسلام، ومبادئه، وكانت المسرحيات تتناول الدعوة إلى الأخلاق ولاسيما قيم مقاومة الابتذال، وكان يحضرها الرجال والنساء جميعاً.

هـ- أخت الأخ محمود سعيد.

و- فاطمة عبد الهادي.

وتذكر السيدة الجليلة أن عدداً من الأخوات الفضليات أسهمن في تقوية هذا التأسيس، وتسرد أسماء مجموعة متميزة في عطائها وتكوينها يمثلن في التصور النهائي الأمهات الحقيقيات لأجيال الأخوات المسلمات اللائي تعاقبن على حمل الدعوة والحركة الإسلامية، وأسهمن في تشييد بناء صرح الحركة النسائية الإسلامية من مثل:

أ- آمال العشماوي التي كان انضمامها إلى الإخوان ذا تأثير إيجابي دافع بحكم تكوينها الأخلاقي والعقلي والأسري.

ب- رثيفة شاكر.

ج- دولت هانم.

د- سعاد الهضيبي.

هـ- خالدة الهضيبي.

و- حميدة قطب.

ز- أمينة قطب.

ح- لبيبة أحمد.

ط- زينب الغزالي.

وذكرت أن عدداً من علماء الجماعة كان له التأثير الفكري المباشر فيهن من أمثال: محمد الغزالي وسيد سابق، وفريد عبد الخالق، والشعشاعي، وهو الأمر الذي يجب فحصه ونحن نتأمل علامات هذا التكوين الذي حُرّنه وحصلن عليه.

ثالثاً- رعاية أسر الإخوان في فترات السجن والاعتقال:

وهي فترات امتدت طويلاً، وعانت فيها الأخوات معاناة ظاهرة.

والحق أن في كل محور من هذه المسارات الثلاثة ما لا يحصى من التفاصيل والدقائق والمواقف الذي لا يملك القارئ المعاصر إزاءه إلا أن يعترف أنه إن كان ثمة طريق لتقدير من حافظ على الفكرة الإسلامية حية في العصر الحديث فهو طريق الأخوات المسلمات اللاتي كونتهن فكرة الإخوان المسلمين، وأسهمن بجهدهن في استمرارها وسموها.

ماذا يتبقى من جهاد هذا الجيل؟

الأسوة والإيمان الحقيقي هما المحك!

إن من ضرورات الوقت، وهرائض المرحلة أن يفكف الجيل الحالي على فحص سير هؤلاء السابقين من رواد العمل الإخواني، وتأمل التضحيات التي بذلت في سبيل دين الله (ﷺ)، وحجم العقبات، والسبل التي سلكها هذا الجيل نحو خدمة قضية الإسلام.

ويخرج التأمل لسير هؤلاء الرائدات بعدد وافر من الدروس والعبر تظل بارزة من مجموع ما قدمته، وأحرزته من نجاحات، وخضنه من معاناة، وتعرضن له من آلام، ومأس، ومضاعب، نالت من أجسادهن، ونفوسهن، وهو ما يمكن أن نوجزه من العلامات التالية:

أولاً- عمل ذلك الجيل يقدم الأسوة في أجلى مظاهرها:

ذلك أن هؤلاء الرائدات قدمن مثلاً بارعاً يصح أن يكون قدوة تحتذى، في الصبر، والرضى وتحمل المسؤوليات، والعناية البالغة بتربية الجيل الناشئ، والإسهام العملي في خدمة الأمة والوطن.

ثانياً: الوعي بحقيقة الإيمان:

وأنه لا يكون إلا بالحرص على المضمون الذي يلح على القيمة الأخلاقية، ولا يابيه بالشكل ولا يتشدد بإزائه، تقول فاطمة عبد الهادي (ص37): "والحق أن الدعوة إيماناً كانت أفضل من هذه الأيام .. وأغلب الظن أن الأمر أصبح شكليات حيث الاهتمام بالشكل أكثر من المضمون، أما في وقتنا فكان هناك اندفاع إيماني ورغبة في التضحية".

ثالثاً: رحمة الله تعالى: رسائل خاصة على صحة الطريق:

هذا الملح أمر ظاهر في قراءة ما يمكن أن نقرأه في خطاب ما يمكن أن يتبقى من جهاد ذلك الجيل الفريد من الأخوات المسلمات، ذلك أن الله تعالى بكرمه ومنه ورحمته رزق ذلك الجيل من آيات رحمته، ما يصح معه استنباط حكم جامع بصحة الطريق الذي سرن فيه، وحافظن عليه، وكانت أصرح آيات رحمته سبحانه رعايته لأبنائهن، وحياطته لثمرات هؤلاء، إذ خرج هؤلاء الأولاد نماذج مبهرة تعليمياً واجتماعياً.

إن الحركة والدعوة اليوم مدينة بأكثر من الشهور بجميل ذلك الجيل الرياني الرائد! ■